دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المرقب

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية ثقافية محكّمة – نصف سنوية

تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الآداب /الخمس

العدد الحادي عشر

سبتمبر 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العظيم

سورة إبراهيم ا لآية {52}

هيأة التحريـــر

رئيس التحرير

د. على سالم جمعة شخطور

الأعضاء

د. أنور عمر أبوشينة **د. أحمد مريحيل حريبش**

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب /كلية الآداب الخمس، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الانسانية.

– كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيأة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيأة تحرير مجلة العلوم الانسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا

ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د.على)

(00218926724967 د .احمد)- او (00218926308360 د. انور)

البريد الالكتروني: journal.alkhomes@gmail.com

صفحة المجلة على الفيس بوك: journal.alkhomes@gmail.com

قواعد ومعايير النشر

– تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهجية ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والإنجليزية والدراسات الإسلامية والشعر

والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

– ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

– نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

– ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً– عنوان الكتاب– مكان وتاريخ النشر–عدد صفحات الكتاب–اسم الناشر– نبذة مختصرة عن مضمونه– تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

– يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

– يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلا أو جزءاً من رسالة (ماجستير – دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

– لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثا بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيأة التحرير.

– تحتفظ هيأة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

– لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبلَ للنشر أم لم يقبل.

– تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيأة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر وذلك حسب تقدير هيأة التحرير.

– يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

*** قبول البحث دون تعديلات.**

***قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.**

***رفض البحث.**

–تقوم هيأة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيأة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

– ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.

– تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.

– الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.

– ترفق مع البحث السيرة علمية (cv) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.

– يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيأة التحرير.

–تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، او ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.

– إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

– يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

– عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصرا قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

– يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

–أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:_

1: البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2: البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

– يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة(A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على(Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي(MS Word).

– يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
–يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

– يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط Simplified Arabic 14 للأبحاث باللغة العربية.
– في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر

كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

– يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع.

طريقة التوثيق:

–يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

–ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولا: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد – إن تعددت المجلدات– والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م،ج3،ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانيا: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوبا بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوبا بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثا: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي– مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعا: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:- تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيأة التحرير على تكرار الاسم نفسه (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيأة التدريس للنشر.

هيأة التحرير.

فهرس المحتويات

عنوان البحث الصفحة

1- دور أحمد الشريف السنوسي في حركة المقاومة الليبية ضد الإيطاليين خلال الفترة 1911.1918م.
أ. سعاد محمد عمر البكوش.....01
2- العلاقات الإنسانية وأهميتها الصحية والنفسية في المجتمع المدرسي.
د. ربيعة عمر الحضيري 34
3- التنظير المقاصدي عند الطاهر ابن عاشور من خلال مقدماته العشر في تفسيره التحرير والتنوير
أ: خالد سعيد يوسف تفوشيت.....47
4- الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس.
د. بشـــير عمـران أبونـــاجـــي 68
5- الخليج العربي (دراسة في التنافس الإنجليزي والعثماني خلال التاريخ الحديث)
د. محمود العارف قشقش.....90
6- القلق العصابي (أسبابه وأعراضه وأساليب علاجه).
د: عبدالسلام عماره إسماعيل.....112
7- الموارد الإقتصادية ونشأة مدينة مسلاتة في العصرين الفينيقي والروماني.
أ / علي عبدالله علي الفتني.....124
8- توزيع السكان وكثافتهم في منطقة سوق الخميس.
د/ أنور عمر عبد السلام أبوشينة.....162
9- مظاهر السلوك العصابي لدى عينة من أبناء الأسر النازحة وعلاقته بإدراك الذات.
د. مفتاح محمد عبد الرحمن الشكري.....189
10- الإمكانات البشرية للسياحة في إقليم طرابلس.
د. خالد سالم علي معوال.....209
11- لمحة جغرافية عن المياه المحسنة والصرف الصحي في قارة أفريقيا
د. شرف الدين أحمد سالم 239
12- جماليات البناء الفني في قصص القرآن الكريم (قصة أصحاب الكهف أنموذجا)
أ.محمد حسن جحا 264

13- مدينة تاجوراء خصائص النشأة والنمو والبُعد الوظيفي الإقليمي.
د. محمد أبوغرارة الرقيبي.....301
14- حدوث العالم المادي وعلاقته بالحركة الزمانية(دراسة تحليلية نقدية لفلسفة نصير الدين الطوسي).
د. احمد مريحيل حريبش.....338
15- مكانة الاسناد عند المحدثين.
وفاء محمد الطيب.....359
16- البعد الفلسفي لمفهوم المجتمع المدني(هيجل أنموذجًا)
د. فوزية محمد مراد.....388

18 -Detection of Land use/ Land cover Changes for Elmergeb Province-Libya using RS and GIS
D.Faraj Mohamed Melad……..…….416

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

نصيحة غالية

الأخلاق – أيها الإخوة الكرام – عنوان الشخص، ودليل فلاحه، وسبيل سعادته في دنياه وأخراه، فما استُجلبت الخيرات بمثله، وما استُدفعت الشرور بمثله، فالخلق والأدب أمرٌ رفيعٌ، ومقامٌ عليٌّ يقود العبد إلى كل فضيلة ويسوقه إلى كل خير، وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) مبيّناً صلوات الله وسلامه عليه مكانة الخلق ومنزلته العلية، وقوله في هذا الحديث (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) ليس المراد به التعامل الذي يكون بين العباد !! فهذا جانب من الخلق بمفهومه العام المعنِي بهذا الحديث، وهذا أمر لابد أن يكون واضحاً جلياً لنا؛ فالخلُق الذي يكون بين العباد بحسن التعامل، وطيب المعاشرة وبذل الندى، وكف الأذى، إلى غير ذلك بحسب ما ييسِّر الله تبارك وتعالى هذا جانب مما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم. ولهذا قال غير واحدٍ من السلف منهم بعض الصحابة في قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4]: (الخلُق: الدين) أي على دينٍ عظيم ودينٍ كامل عقيدةً وعبادةً وأدباً . وقوله صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) أي : يتمم الأدب بجميع أبوابه.

وفقكم الله وسدد خطاكم

هيأة التحرير

بحث بعنوان: العلاقات الإنسانية وأهميتها الصحية والنفسية في المجتمع المدرسي

د. ربيعة عمر الحضيري

ملخص البحث:

هدف البحث التعرف على مدى أهمية العلاقات الإنسانية في المدرسة، والتعرف على كيفية إسهامها في تحقيق الصحة النفسية للأفراد داخل المدرسة، وكيفية إسهامها في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة، وأهم العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة. وقد اتبعت الباحثة خلال هذا البحث أسلوب البحث الاستقصائي التحليلي والملاحظات الشخصية كأداة لجمع المعلومات فيه . وقد خلصت الباحثة غلى ان العلاقات الإنسانية السليمة القائمة على الاحترام والألفة وروح التعاون تساعد على تحقيق الصحة النفسية لكل من المدير والمعلمين والطلاب وبالتالي الارتقاء بالعمل التربوي وتحقيق الأهداف التي وجدت المدرسة من أجلها.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الإنسانية، الصحة النفسية، المدرسة.

مقدمة:

منذ بدء الخليقة ومنذ تواجد الإنسان على وجه هذه البسيطة، سعى لتكوين علاقات مع غيره من بني جنسه ، فالعلاقات الإنسانية وجدت مع بدء الوجود وهكذا تكونت المجتمعات البشرية، والإنسان هو كائن اجتماعي بطبعه لايمكنه أن يتواجد بعيدا عن بني جنسه، ولايمكنه أن ينأى عن تكوين علاقات إنسانية وروابط اجتماعية معهم.

ويشير مفهوم العلاقات الإنسانية إلى حصيلة الصلات والاتصالات التي تحكم علاقة الفرد بغيره من الناس والمؤسسات التي يتعامل معها وفق قوانين المجتمع ومعاييره الاجتماعية وذلك من خلال مؤسسات المجتمع المختلفة كالأسرة وجماعات الرفاق ومؤسسات المجتمع الأخرى. ويرى العلماء أن العلاقات الإنسانية حصيلة الاتصال بين الفرد والمجتمع ففي الجوانب النفسية والاجتماعية التي تعمل على تنظيم علاقة الفرد بالآخرين والمجتمع .وتعمل على ضمان تكيف الفرد وتوازنه ليتمكن من أداء مهامه وأدواره بطريقة منتظمة ومنسجمة مع أنظمة المجتمع وقوانينه المختلفة(أحمد، 1985).

وتلعب العلاقات الإنسانية دورا كبيرا في تحقيق الصحة النفسية للأفراد من خلال مساعدة الفرد على توفير مطالبه الأساسية .في الحياة وإشباع حاجا ته ليصل إلى درجة مقبولة من الرضا والتوازن اللذان يمثلان أهم مظاهر الصحة النفسية وشروطها، فالعلاقات الإنسانية ليست مجرد خبرة واحساس يكتسبه الفرد من خلال الخبرة والممارسة بل أصبحت علما في فن التعامل مع الأفراد والجماعات ورفع روحهم المعنوية لتعزيز نموهم السليم وتكيفهم مع عناصر المجتمع.

توصف المدرسة بأنَّها مؤسسة تعليمية / تربوية، تعمل على تخريج الأجيال القادرة على الإسهام في تقدم المجتمع وتطويره .ولذلك فإن هذه المؤسسة تحتاج إلى قيادة كفوءة، يمّثلها مدير المدرسة بما يمتلك من خبرات تربوية وإدارية، تمكّنه من التعاون مع المعلمين لتوجيه العمل المدرسي نحو الأفضل. وهذا يتوقَّف على مستوى العلاقات الإنسانية السائدة بين الإدارة والمعلمين والطلاب، والتي تقوم على الثقة والاحترام المتبادل، وتأمين الراحة والأمان، بما يعزز العلاقة الوطيدة بين المدير والمعلمين والطلاب لتحقيق النظام المدرسي، ورفع كفاية العملية التربوية من جوانبها المختلفة (حلاوة، 2012).

فإذا وفِّقت المدرسة في تحقيق رسالتها على هذا النحو، فقد وُفِّقت في أن تكفل لأبنائها خير الأجواء ملاءمة لصحة نفوسهم، والتي تتمثَّل أهم مؤشراتها في: قدرتهم على التوافق الداخلي بين دوافعهم المختلفة، وفي التوافق الخارجي في علاقاتهم ببيئتهم المحيطة، بما فيها ومَن فيها من موضوعات وأشخاص(هارون، 2013).

وغني عن البيان أن الصحة النفسية هي من أهم الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها في طلابها على وجه الخصوص وفي كل العاملين فيها وفي الميدان التربوي على وجه العموم ، ولذلك فإن هذا البحث يرمي إلى محاولة توضيح مدى تأثير العلاقات الإنسانية السائدة في المدرسة على الصحة النفسية للفراد المنتمين إلى هذه المؤسسة الاجتماعية التي تعنى بالتربية وبناء الإنسان الذي هو الغاية الاسمى للمجتمعات البشرية.

مشكلة البحث:

تحتل العلاقات الإنسانية مكانة كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات ، وتلعب دورا كبيرا في تمتعهم بدرجة هامة من الصحة النفسية لديهم.

ولذلك فإن مشكلة البحث قد تحددت في التساؤلات التالية:

1- ما أهمية العلاقات الإنسانية في المدرسة؟

2- كيف تسهم العلاقات الإنسانية في تحقيق الصحة النفسية للأفراد داخل المدرسة؟

3- كيف تسهم العلاقات الإنسانية بين الأفراد في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة؟

4- ما هي العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في الاتي:

1- تسليط الضوء على أهم العلاقات الإنسانية التي يمكن ان تنشا في المؤسسات التربوية، لتحديد مدى أهميتها ودورها في زيادة الإنتاجية في هذه المؤسسات وتحسين مستوى الأداء بين أفرادها؛ حيث منم المتوقع أن تسهم بشكل كبير في تمتع أفراد المؤسسة بالصحة النفسية ، وبالتالي تقديم أفضل ما لديهم من قدرات يمكن ان تسهم في نجاح العملية التربوية برمتها والارتقاء بها قدما.

2- استخدام نتائج هذا البحث كأداة تشخيصية وعلاجية في آن واحد معا للمشكلات التي تعاني منها المدرسة، بحيث تمكن العاملين داخل هذه المؤسسة التربوية من معرفة طبيعة العلاقات الإنسانية السليمة التي يجب تنشا بينهم داخل مؤسستهم للارتقاء بها بشكل يحافظ

على تمتع كل هؤلا الأفراد بدرجة متوازنة ومتساوية من الصحة النفسية التي تعتبر من أهم الأهداف العامة للقطاع التربوي بشكل عام.

3- تقديم بعض التوصيات التي تحسن من طبيعة العلاقات الإنسانية داخل المؤسسات التربوية، والدور الذي تلعبه علاقات العمل الفاعلة في الارتقاء برضى العاملين والوظيفي وانعكاسه على الصحة النفسية لهم وبالتالي على مردود العملية التربوية برمتها.

أهداف البحث:

1- التعرف على مدى أهمية العلاقات الإنسانية في المدرسة.

2- التعرف على كيفية إسهام العلاقات الإنسانية في تحقيق الصحة النفسية للأفراد داخل المدرسة.

3- التعرف كيفية إسهام العلاقات الإنسانية بين الأفراد في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة.

4- التعرف على أهم العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة.

محددات البحث:

1- يتناول هذا البحث استقصاء أهم الآثار الناتجة عن طبيعة العلاقات الإنسانية القائمة في المؤسسات التربوية على الصحة النفسية لأفراد هذه المؤسسات سلبا وإيجابا.

2- اعتماد الملاحظة كأداة لجمع بيانات هذا البحث.

مفهوم العلاقات الإنسانية: تقوم العلاقات الإنسانية بين طرفين أو اكثر ، وهذه العلاقة هي بمثابة الاتصال بين الناس، ويقوم مفهوم العلاقات الإنسانية على أساس أن الأفراد حيثما كانوا في مواقع

العمل يشكلون مجموعة من العلاقات بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين رؤسائهم والمشرفين عليهم والمتعاملين معهم. ويرى البعض أن العلاقات الإنسانية تهتم بشكل رئيسي بالتفاعلات التي تتم بين الأفراد باعهتبارهم بشرا لهم مشاعر وعواطف وقيم وحاجات نفسية واجتماعية، وهي تهتم كذلك بتحسين هذه التفاعلات، بحيث ترتفع الروح المعنوية لهؤلاء الأفراد ، مهما كانت طبيعة المؤسسسات التي يعملون فيها ، وفي الوقت ذاته تتمكن هذه المؤسسات من تحقيق أهدافها(الزبون وآخرون،2010).

ومن هنا يتبين أن العلاقات الإنسانية ليست مجرد كلمات أو عبارات مجاملة وإنما هي بالإضافة إلى ذلك تفهم لقدرات الأفراد وطاقاتهم وظروفهم ودوافعهم وحاجاتهم واستخدام كل هذه العوامل لحفزهم على العمل. وهناك عدة معاني يستخدم بها مفهوم العلاقات الإنسانية ، ولكنها بالمعنى السلوكي ،" يقصد بها عملية ملاءمة لطاقات ودوافع وظروف الأفراد في مواقف معينة ، مع تحقيق توازن بين حاجاتهم رضاهم النفسي ، وبين تحقيق الأهداف المرغوبة. وهي في إطار هذا المفهوم تهدف إلى إشباع الحاجات النفسية الأساسية للأفراد، وفي مقدمة الحاجات الإنسانية للفرد في عمله الشعور بالأمن والإطمئنان والإحساس بالأنتماء والتيقن بالهدف ،والإعتراف بوجوده، والإشادة بنفسه، وإكتساب الخبرات والتجارب.(العرفي، 1993)

والعلاقات الإنسانية في المدرسة من أهم العوامل التي تؤثر تأثيرا بالغا في المدرسة وذلك لأن الفرد حينما يشعر أن هناك من يعمل على راحته ومن يعمل ليوفر له الأمن والطمأنينة النفسية .وهناك من يفكر في مصلحته فإن ذلك يساعده على بذل قصارى جهده في العمل ويرفع من كفاية الإنتاج في المدرسة وهو أيضا رفع المستوى العلمي للتلاميذ في المدرسة. فإذا كان مدير المدرسة والوكلاء والمعلمون الأوائل كممثلين للإدارة المدرسية يعملون بمفردهم دون استشارة وأخذ

وجهات نظر بقية المعلمين والتلاميذ. فإن قراراتهم سوف تقابل بالرفض وعدم القبول .وينتج هذا الرفض من جانب التلاميذ لكل قرار تصدره المدرسة .وهنا تبرز ديموقراطية الإدارة في تفهم حاجات البيئة المدرسية على الجميع بمن فيها. (أحمد، 1985).

العلاقات الإنسانية في المجال التربوي :

ويقصد بها عملية تنشيط واقع الأفراد في موقف معين مع تحقيق إحداث التوازن بين إرضاء حجاتهم النفسية وتحقيق الأهداف المرغوبة. ومن هنا يمكن أن نفهم أن الهدف الرئيسي للعلاقات الإنسانية في المؤسسة التربوية يدور حول التوفيق بين إرضاء الحاجات الإنسانية للمعلمين والطلاب وكل العاملين بالمدرسة وبين تحقيق أهداف المدرسة ولهذا فإن الهدف الرئيسي للعلاقات الإنسانية يتضمن إرضاء أو إشباع الحاجات الإنسانية وما يرتبط بها من دوافع التنظيم ورفع الروح المعنوية وتحسين ظروف العمل والوضع المادي للمعلمين والإداريين بالمدرسة. (زين، 2011)

إذًا فالعلاقات الإنسانية ضرورية ليس للإدارة التعليمية التربوية فحسب وإنما للجميع فهي مهمة:

1- في علاقة المعلم مع الطالب حيث أن هذا النوع من العلاقات يجب تكون مشابهة لعلاقة الوالد مع أبنائه يسودها الحب والدفء والتفهم والحزم في آن واحد.
2- ومهمة في علاقة المعلم مع زملائه فهي علاقة يجب أن تسودها روح الأخوة والتعاون والاحترام.
3- ومهمة في علاقة المعلم مع مدير المدرسة حيث يجب أن يلعب المدير الدور الرئيسي في تنظيم العلاقات وتحقيق النظام وتوزيع الدوار داخل المدرسة.

4- ومهمة في علاقة المعلم مع المشرف التربوي الذي يمثل المرجعية التربوية التي يلجأ إليها المعلم لمساعدته في تحقيق الأهداف التي تسعى إليها العملية التربوية.

5- وكذلك مهمة لمدير المدرسة مع من حوله من طلاب و معلميين و مشرفيين.

6- وكذلك العلاقات الإنسانية مهمة للمشرف التربوي مع الطلبة والمعلميين ومديري المدارس ،بمعنى أن العلاقات الإنسانية مهمة لنا جميعا بغض النظر عن موقعنا على خارطة . التربية والتعليم.

أهمية العلاقات الإنسانية داخل المدرسة:

إن العلاقات الإنسانية السليمة التي تسود بين أفراد المدرسة، تنعكس بصورةإيجابية على العاملين في هذه المؤسسة .الأمر الذي يتطلب أن تكون هذه العلاقات إنسانية طيبة، تتمّثل في الأخلاق الفاضلة والاحترام المتبادل والتعاون بين الإدارة والعاملين في المدرسة والطلاب. وبذلك تتحّقق أفضل النتائج في المجال التربوي، وتؤدي المدرسة رسالتها بنجاح.ولكن العلاقات الإنسانية لا تسود إلا في جو ديمقراطي، يجب على العاملين في المدرسة أن يؤمّنوه من خلال تعاملهم فيما بينهم وتعاملهم مع الطلاب . فالروح المعنوية العالية عند العاملين في المدرسة، تؤدي إلى زيادة الأداء، ودفع عجلة العملية التربوية والتعليمية إلى الأمام، ويمكنها من تحقيق أهدافها . وهذا يتوّقف على مدى ما يمتلكه مدير المدرسة من مؤهلات علمية وإدارية، ومن خبرة فنية وإدارية، ومن روح ديمقراطية، وحب لعمله، ورغبة في إشراك العاملين في مسؤولياته وسلطاته الإدارية (حلاوة، 2012). ويتوقف أيضا على تجاوب بقية العاملين في المدرسة من معلمين وطلاب مع المدير في بناء علاقات إنسانية إيجابية وسليمة.

كما أنه من المعروف أن المدرسة هي من أهم مؤسسات بناء المجتمع وتقدمه، فالمدرسة هي التي تربي وتعلم أجيال المستقبل، وتسعى إلى تحقيق الأهداف التربوية المنبثقة عن الفلسفة التربوية، والعلاقات الإنسانية في المدرسة جزء مهم في العملية التربوية، تساعد على تسهيل العمل اليومي، وحتى يتم التطوير، فمن المهم أن يسلك العاملون في المدرسة سلوكاً له دور فعال في تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها هذه المؤسسة التربوية، وهذا الدور لن يكون فعالاً بالدرجة المطلوبة إن لم يضع مدير المدرسة أثناء قيامه بعمله رغبات المعلمين وحاجاتهم في اعتباره. لذلك أولى كثير من الباحثين التربويين أهمية للمعّلم وللعوامل التي تؤّثر في فاعليته، وكان من أهمها السلوك القيادي للنمط الإداري الذي يمارسه المدير في المدرسة التي يعمل فيها المعّلم

مفهوم الصحة النفسية :

الصحة النفسية هي حالة دائمة نسبيا يكون الفرد فيه متوافقا مع نفسه ومع الاخرين ويشعر بالرضا عن نفسه والسعادة النسبية في حياته . ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته إلى اقصى حد ممكن، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته متكاملة وسوية (أميمن، 2004)، ويكون سلوكه عادي متسقا مع معايير المجتمع الذي يعيش فيه متقبلا لقيمه وأعرافه.

دور المدرسة في تحقيق الصحة النفسية:

تعتبر المدرسة أحد المؤسسات التربوية المهمة في أي مجتمع، وهي البيئة التي تحتضن الطالب طوال فترات سنوات تعليمه، وللمدرسة دور ورسالة تربوية مهمة تهدف إلى تكوين الشخصية المتكاملة للدارس وإعداده، ليكون مواطناً صالحاً يساهم في تقدم بلاده، في حين كان

ينظر إلى هذه الرسالة التربوية على أنها عملية تعليم وتحصيل للمعرفة، لذا كانت الحاجة ضرورية وماسة إلى استعانة المدرسة بالإخصائيين النفسيين فتلتقي أهداف الصحة النفسية بأهداف التربية في خلق جيل قادر على مواجهة تحديات العصر ومن هنا يجب حمايته من الاضطرابات والانحرافات وإطلاق ما لديه من طاقات كامنة واستعدادات إلى أقصى حد ممكن، فالعلاقة إذن وثيقة ومتبادلة بين الصحة النفسية والمدرسة.

وتُعتبر المدرسة المؤسسة الاجتماعية التي تلي الأسرة مباشرة في أهميتها وتأثيرها على الصحة النفسية ودرجة توافق الأبناء نفسيًّا واجتماعيًّا، خاصة أن الأسرة في العصر الحديث لا تُتيح لها إمكانياتُها وظروف الآباء فيها أن تضطلع بجميع المهام التي كانت تضطلع بها قديمًا عندما كانت الحياة بسيطة ومُتطلباتها محدودة، فالمدرسة هي الوسط الذي ينمو فيه التلاميذ خارج الأسرة ويُمضون فيه أغلب يومِهم.

ولذلك؛ فالمدرسة ليست مجرد مكان يتم فيه تعلم المهارات الأكاديمية والعلمية، وإنما هي مجتمع مُصغَّر يتفاعل فيه الأعضاء ويؤثِّر بعضهم في البعض الآخَر، وإذا كانت أسس الصحة النفسية للفرد تبدأ في البيت خلال السنوات التكوينية الأولى لحياة الطفل مع أسرته، إلا أن المدرسة تظل رغم ذلك ذات أثر تكويني هام في حياة الطفل وشخصيته لا يكاد يقلُّ عن أثر البيت؛ ذلك أن المفهوم الحديث للمدرسة لا يقتصر على مجرد كونها مكانًا يتزود الطفل فيه بالمعرفة وحسب، بل مجال تتفتَّح فيه شخصيته وترقى في جوِّه إمكانياته وتنمو فاعليته في المجتمع، وهي بذلك ذات رسالة تربوية تهدف إلى ما هو أشمل من مجرد التعليم وتحصيل المعرفة، ومن أهم أهداف هذه الرسالة تكوين الشخصية المتكامِلة للتلميذ وإعداده ليكون مواطنًا صالحًا، ورعاية نموه البدني والذهني والوجداني والاجتماعي في آنٍ واحد معًا.(هارون ، 2013)

وتلعب العلاقات الإنسانية السائدة في المدرسة دورا كبيرا في تمتع أفرادها بالصحة النفسية ، حيث تتكون الصداقات بين الطلاب بعضهم البعض من خلال عملية التفاعل الاجتماعي التي تتولَّد عن الأنشطة المدرسية المختلفة، ويلعب التفاعل الاجتماعي الدراسي الناتج عن نشاط الجماعة دورًا في تنمية تفكير التلميذ، وفي مَقدرته على حل المشكلات والصعوبات التي تَعترِضه في حياته اليومية، والتلميذ يشعر من خلال مشاركته في النشاط المدرسي بتحمُّل المسؤولية وقيامه بها، وبتحقيقه لمكانته الاجتماعية، وفي جماعة الفصل يتعلم الكثير عن نفسه وعن زملائه، متمثِّلاً ذلك في القيم والمعايير الاجتماعية.

كذلك الحال بالنسبة للعلاقات السائدة بين المعلمين والإدارة وبين بعضهم البعض وبينهم وبين الطلاب فكلما كانت هذه العلاقات قائمة على الاحترام والحب المتبادل والشعور بالمسؤولية تجاه العملية التربوية برمتها كلما ساعدت في تحقيق التوافق بين أفرادها ، هذا التوافق الذي يعتبر مظهرا مهما من مظاهر الصحة النفسية .

العلاقات الإنسانية الإيجابية ودورها في تطوير مستوى الأداء داخل المدرسة:

يرى البعض أن العلاقات الإنسانية هي عمليات حفز للأفراد في موقف معين بشكل فعال ، ويؤدي إلى الوصول إلى توازن في الأهداف ليعطي المزيد من الرضا الإنساني ، كما يساعد على تحقيق مطالب العمل، اي ان العلاقات الإيجابية تؤدي إلى ارتفاع في الإنتاجية، عن طرق خلق افراد سعداء يشعرون بالرضا عن أعمالهم(الحربي، 2003). وهذا تماما ما تحدثه العلاقات الإنسانية الإيجابية داخل المدرسة حيث تؤدي إلى شيوع روح التعاون والاحترام والمحبة بين المدير والمعلمين والطلاب ما ين عكس غيجابا على الصحة النفسية للمعلمين فيزداد عطاؤهم واهتمامهم

بتحقيق أهداف التربية والصحة النفسية للطلاب مما يساعد على خلق الدافعية للتعلم لديهم وشيوع روح التعاون بينهم ويشجعهم على التعلم الذاتي ومساعدة بعضهم البعض على التعلم الفعال.

العوائق التي تحول دون بناء علاقات إنسانية سليمة داخل المدرسة:

قد تحول بعض العوائق دون بناء علاقات إنسانية سليمة بين الأفراد داخل المدرسة ومن أهمها:

1- الإدارة التسلطية غير الديمقراطية: حيث يؤدي هذا النوع من الإدارة إلى شعور المعلمين بالملل ويخلق لديهم رغبة في التمرد على تسلط الإدارة ويعمل على تثبيط همتهم للعمل ويصرفهم عن الاهتمام بتحقيق أهداف المدرسة المنشودة .

2- عدم اهتمام الإدارة والمعلمين برغبات التلاميذ وحاجاتهم النفسية مما يخلق حاجزا بين التلاميذ ومعلميهم وبالتالي تصبح المدرسة بالنسبة إلى الطلاب بمثابة السجن الذي يحول بينهم وبين تحقيق اهدافهم ما يفقدهم الدافعية للتعلم التي هي عماد العملية التربوية برمتها وبالتالي إخفاقهم فيها.

3- عدم المساواة في معاملة الطلاب من قبل المعلمين ما يخلق لديهم الصراع والعداء ويصرفهم عن الاهتمام بالجانب التعليمي.

التوصيات:

من خلال هذا البحث الاستقصائي توصي الباحثة بالآتي:

1- الاهتمام ببناء علاقات إنسانية فعالة بين الأفراد داخل المدرسة من خلال الاحترام المتبادل وسيادة الجو الديمقراطي بين كل من المدير والمعلمين والطلاب.

2- الاهتمام بالصحة النفسية للطلاب والمعلمين داخل المدرسة من أجل ضمان أدائهم الفعال في العملية التربوية.

3- الاهتمام بإجراء الندوات التي تتناول العلاقات الإنسانية داخل المدرسة ودعوة المعلمين والمدراء للمشاركة فيها من أجل توعيتهم بأهميتها وكيفية تحسينها داخل مدرستهم.

المراجع

- أحمد، أحمد إبراهيم. 1985. نحو تطوير الإدارة المدرسية: دراسات نظرية وميدانية. دار المطبوعات الجديدة ، القاهرة.

- أميمن، عثمان علي. 2004. في الصحة النفسية. الجزء الأول. درا الكتب الوطنية، بنغازي

- الحربين خالد بن حمدي الحميدي . 2003. أثر العلاقات الإنسانية على أداء العاملين في الأجهزة الأمنية، دراسة على العاملين بإدارة جوازات منطقة الرياض والمنطقة الشرقية. رسالة ماجستير. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض . المملكة العربية السعودية.

- الزبون، سليم عودة. والزبون، محمد سليم. وموسى، سليمان ذياب على. 2010. درجة استخدام مديري المدارس الثانوية في محافظةجرش لأسلوب العلاقات الإنسانية في الإدارة المدرسية من وجهة نظر معلميهم. مجلة جامعة دمشق، 3 (26): 657-693.

- زين، عبد العزيز محمد. 2011. العلاقات الإنسانية فى الإدارات والمؤسسات التربوية.

- العرفي، عبد الله بلقاسم. 1993. الإدارة المدرسية اصولها وتطبيقاتها.منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.

- حلاوة، باسمة. 2012. العلاقات الإنسانية بين المدرسين والمديرين كما يراها مدرسو التعليم الثانوي، دراسة ميدانية. مجلة جامعة دمشق، 4 (28): 249-277

- هارون، فرغلي. 2013. المدرسة والصحة النفسية لأبنائنا. شبكة الألوكة.

التنظير المقاصدي عند الطاهر ابن عاشور من خلال مقدماته العشر في تفسيره التحرير والتنوير

أ: خالد سعيد يوسف تفوشيت

مقدمة.

يعدُّ تفسير **التحرير والتنوير** من أدَلِّ الكتب، وأقدرِها على التعريف بمكانة ابن عاشور[1] وثقافته، والملفت للنظر من الوهلة الأولى هو عنوانه، فالمتأمل في الألفاظ الأربعة التالية : (تحرير، تنوير، عقل، جديد) تحيله إلى المناخ الفكري الذي أشرنا إليه، إعلاناً منه أنَّه إزاء محاولة جديدة لفهم الكتاب المجيد، محاولة تتغيّا سداد المعنى المحرر من جهة، وتجديد عقلية المسلم من جهة أخرى[2].

فمن خلال العنوان نفهم تصور ابن عاشور لدور تفسيره في مشروعه الإصلاحي، حيث مضى فيه على نمط فريد يداني به كبار أئمة التفسير، ويجنح بطلابه فيه إلى مختلف الطرق تمكيناً لفهم النص القرآني فهماً كاملاً، وتدريباً لهم على الغوص في لطائف معانيه وإشاراته، غوصاً يسمح لهم بالانتباه إلى دقائقه[3].

وقد استهل تفسيره بمقدمات عشرٍ كرَّسها لعلوم القرآن، وتوضيح منهجه في التفسير، وهي كالتالي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علماً.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

([1]) محمد الطاهر ابن عاشور(1879– 1973م) عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس، تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته، وتولى العديد من المناصب الإدارية والعلمية، حيث سمي حاكماً بالمجلس المختلط، ثم قاضياً مالكياً، تم ارتقى إلى رتبة الإفتاء، واختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي،وبعد حذف النظارة العلمية أصبح أول شيخ لجامعة الزيتونة... من أهم مؤلفاته تفسيره التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام. انظر المنصف الشنوفي: **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**، العدد العاشر 1973، حوليات الجامعة التونسية، ص6، وانظر محمد الحبيب ابن الخوجة: **محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية** (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الدنية، ط 1، 2004) ج1، ص 153، 169.

([2]) انظر الحسني: **نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور** (هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1995) ص9.

– وانظر جمال الدين دراويل: **مسألة الحرية في مدونة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور** (بغداد: العراق، مركز دراسات فلسفة الدّين، وبيروت: لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006) ص 26، 27.

([3]) ابن الخوجة: **محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، ج1، ص 318.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة: في أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة: في قصص القرآن.

المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

والناظر في مضمون هذه المقدمات يلاحظ عدم إشارة ابن عاشور إلى المناهج الحديثة في التفسير كالتفسير البياني، والتفسير الموضوعي، والتفسير الاجتماعي وغيرها، ولعل ذلك يرجع إلى تبكير ابن عاشور في كتابتها[1]، فقد سبق تأليف هذه المقدمات كتابة التفسير نفسه، والظاهر أن ابن عاشور انتهى من تفسيره قبل ظهور هذه المناهج التي لم تبدأ قبل الأربعينات.

وعلى الرغم من النزعة التراثية في فكر ابن عاشور، فإنه يحاول عبر مقدماته تأسيس أصول تفسير تجمع بين العمق التراثي والروح الإصلاحية في زمن ما زال الخلاف والنقاش حول أصول التفسير، ومناهج القراءة المعاصرة للقرآن مثار أخذ ورد وإيراد واعتراض بين العلماء، فأراد من خلالها " تصفية الحساب وتحقيق القول بنوع من الحسم في عدد من القضايا والإشكاليات"[2].

والمتتبع لفكر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير يلمس استقراءه لجزئيات الموضوع ومسائله، سواء كانت لغوية أو فقهية، أو بلاغية أو اجتماعية وغير ذلك وإخضاع كل ما له علاقة بالموضوع للبحث والشرح والتحليل ليستنبط الحكم أو يستخرج النتيجة التي قاده إليها البحث، فهو منهج استقرائي للنصوص تحليلي، استنباطي. وتتجلى مظاهر هذا المنهج الفكري واضحة في:

([1]) وقد كانت هذه المقدمات في الأساس دروساً ألقيت على طلبة الزيتونة، وتنشر تباعاً في المجلة الزيتونية، ثم نشرها في كتاب مستقل تحت عنوان (مقدمات تفسير التحرير والتنوير) كما أعاد طبعها في كتاب مستقل الدكتور الميساوي تحت عنوان (الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مقدمات تفسير التحرير والتنوير) حيث قام بتوثيق شواهدها والتعليق عليها، طبع الكتاب بدار التجديد سنة 2006م، وقد تولت الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر طبع هذا التفسير في ثلاثين جزءًا سنة 1984م.

([2]) محمد الطاهر ابن عاشور: **مقدمات تفسير التحرير والتنوير**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (كوالالمبور: ماليزيا، دار التجديد، ط1، 2006) ص 14.

الجانب التمهيدي للسور، والذي يشتمل على: تحليل عنوان السور، وما ورد في ذلك من آثار، وبيان كون السورة مكية أو مدنية والخلاف في ذلك، ثم ذكر الراجح لديه من تلك الأقوال، وترتيب السورة بين السور الأخرى، وعدد آياتها.

وبيان أغراض السورة، ومقاصدها، وتحديد الموضوعات التي تطرقتْ إليها في تعداد رقمي أحيانا، أو أسلوب استرسالي أحيانا أخرى.

وربط نهاية كل سورة بافتتاحيتها بطريقة سلسة منطقية، وبه يكون تمام التمهيد للسور، ويشتمل جانب الدراسة التحليلية الموضوعية للآي والسور عنده على الخطوات التالية:

أولاً: إظهار الإبداع البلاغي في افتتاحية السور بما يدل على الإعجاز القرآني وإبراز المقاصد والمعاني الشرعية من خلاله في أسلوب أدبي رفيع، وتعبيرات بليغة.

ثانياً: البدء بتحليل الآيات من جهة اللفظ والإعراب، وما يترتب على ذلك من اختلاف المعاني، أو توافقها، وتباين الأحكام، أو تطابقها.

ثالثاً: المقارنة بين الآيات المتجانسة ذات الموضوع الواحد من حيث التعبير، والمعنى والأحكام.

رابعاً: تجميع الآراء والأدلة في المسائل الشرعية واستقراؤها، والتعرض لها بالمناقشة والتحليل، والخروج منها برأي جديد، أو ترجيح سديد.

خامساً: وقوفه طويلا عند المسائل العلمية ذات الصبغة الشرعية، والاتجاهات المقاصدية التي هي من أغراض القرآن الكريم، وإبداء رأيه فيها.

سادساً: أعطى مساحة طيبة للمسائل العلمية الأخرى في إطار منهجه العام الذي وضحه فيما يتعلق بالاستطراد، فسلك فيها مسلك الإيجاز وذكر خلاصة الكلام فيها.

سابعاً: العرض الوافي للمعنى العام للآيات الكريمة، وما تفيده من أحكام وآداب في أسلوب علمي سلس.

ثامناً: إجماله الكلام لبعض الموضوعات التي سبق أن تعرض لها أو تأجيله للكلام فيها لمناسبة أخرى تكون أكثر انسجاما معها، حيث تعرضت لها الآيات في مواطن الإحالة بتفصيل أكثر، تفادياً للتكرار الممل.

تاسعاً: اهتم ببيان الجوانب التي لم يسبق أن تعرض لها المفسرون في مدلول الآيات، أو الكشف عن المقصد الشرعي منها.

- الدعوة إلى إنشاء علم المقاصد:

إن أهم ما يستوقف الباحث في الفكر المقاصدي عند ابن عاشور، دعوته الملحة إلى ضرورة إنشاء (علم المقاصد الشرعية) مشروعاً علمياً يتغيا إقامة مسالك التفقه الشرعي على أصول مقاصدية من شأنها التقريب بين المدارك العلمية والتوحيد في التصورات النظرية للفقهاء، فإنجاز هذا المطلب العلمي يعد مقصد ابن عاشور الأولي من البحث في المقاصد الشرعية. ذلك المطلب المتجسد في دعوته إلى استخلاص ثلة من الأصول القطعية في التفقه الشرعي، وإبراز مدى قطعيتها أو قربها من القطع، حتى يصح تحكيمها في الحجاج والاستدلال، فـ " إن أعظم ما يهم المتفقهين إيجادُ ثلةٍ من المقاصد القطعية ليجعلوها أصلاً يصار إليه في الفقه والجدل "[1]، حيث سيطرت هذه الإشكالية على منهجه واستولت على حيز كبير من اهتمامه فكانت الإطار المنهجي الذي يندرج فيه بحث المقاصد الشرعية، وبسياقه العلمي ترتبط نظرية المقاصد[2].

إنها تطرح وجهة نظره في البحث الأصولي هادفة منه ضبط جملة من الأصول القطعية تصلح أساساً للعملية الاجتهادية، ووسيلة ذلك هو إعادة صياغة تلك الأصول التي تصلح أن يشاد عليها علم جديد هو علم مقاصد الشريعة[3].

وفي ذلك يقول:" فنحن إذا أردنا أن ندوِّن أصولا قطعية للتفقه في الدّين حق علينا أن نعمد إلى مسائل أصول الفقه المتعارَفة وأن نعيد ذَوْبها في بوتقة التدوين ونعيرها بمعيار النظر والنقد فننفي عنها الأجزاء الغريبة التي غلثت بها، ونضع فيها أشرف معادن مدارك الفقه والنظر، ثم نعيد صوغ ذلك العلم ونسميه علم مقاصد الشريعة "[4].

([1]) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 169.

([2]) سبق أن بينا موقف ابن عاشور من إشكالية القطع والظن في الفصل الثاني من الباب الثاني، ص 105.

([3]) حاول ابن عاشور أن يبرز المقاصد التي عرضها من أصول قطعية أو قريبة من القطع، من خلال الجمع بين عدة مصادر وكذلك المقاربة بينها إلا أنه تخلى عن أصله في المسألة لأنه قرر في موطن آخر من كتابه إمكان طريان القطع والظن على المقاصد الشرعية فقال: " وعلى هذا فالحاصل للباحث عن المقاصد الشرعية قد يكون علماً قطعياً أو قريباً من القطعي وقد يكون ظنياً ... واعلم أنّ مراتب الظنون في فهم المقاصد متفاوتة بحسب تفاوت الاستقراء المستند إلى مقدار مابين يدي الناظر من الأدلة، وبحسب خفاء الدلالة وقوتها " ابن عاشور: المرجع نفسه، ص168، 173. وهذا الذي ذكره ابن عاشور يهدم ما أتى على تأسيسه في تعقيبه ورده على الجويني بإقحام الظنيات في أصول الفقه الذي يقول بقطعيته، ثم إضافة إلى هذا هل سيتحقق هدف ابن عاشور الذي هو أن تكون المقاصد الشرعية ملجأ المتنازعين والمختلفين، مع أنه انتهى إلى أنها يجري عليها الظن ؟

([4]) ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص 122.

ويقول في موضع آخر: " وإنما أردت أن تكون ثلةٌ من القواعد القطعية ملجأً نلجأ إليه عند الاختلاف والمكابرة، وأن ما يحصل من تلك القواعد هو ما نسميه علم مقاصد الشريعة، وليس ذلك بعلم أصول الفقه "[1].

بعد ذلك تابع قوله ببيان موقفه من العلماء الذين قالوا بقطعية أصول الفقه، فقال: " وقد حاول بعض النظار من علماء أصول الفقه أن يجعلوا أصولاً للفقه قطعية فطفحت بذلك كلمات منهم، لكنهم ارتبكوا في تعيين طريقة ذلك "[2] فعرض كلام العلماء القائلين بقطعية أصول الفقه مناقشاً إياها، ومبيناً ارتباكهم في تعيين طريقة ذلك.

ورغم حرص ابن عاشور الشديد على بناء قواعد قطعية لعلم المقاصد إلا أنه ينتهي في الأخير إلى أن مقاصد الشريعة مرتبتان: قطعية وظنية، حيث يقول: " فالحاصل للباحث عن المقاصد الشرعية قد يكون علماً قطعياً أو قريباً من القطعي، وقد يكون ظناً"[3].

وهذه الثلة من المقاصد هي التي تمثل عند ابن عاشور ما سماه بعلم المقاصد حيث يقول: "على أننا غيرُ ملتزمين للقطع وما يقرب منه في التشريع، إذ هو منوط بالظن؛ وإنما أردت أن تكون ثُلةٌ من القواعد القطعية ملجأً نلجأُ إليه عند الاختلاف والمكابرة، وأن ما يحصل من تلك القواعد هو ما نسميه علم مقاصد الشريعة "[4].

ويعدُّ مفهوم " المقاصد " من أكثر المفاهيم والمصطلحات تواردا وتواترا في نصوص ابن عاشور، فقلما يعالج موضوعاً سواء كان في مقالة أو كتاب في علوم الشريعة أو في علوم اللغة والأدب دون أن يرد لمفهوم " المقاصد " ذكر أو يكون له دور في بناء فكرته وتطويرها حول ذلك الموضوع، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إن الخيط الذي يسلك فكر ابن عاشور في نسق واحد، والذي يتخلل ثنايا كتاباته هو مفهوم " المقاصد ".

يقول الميساوي: " وقد هيمن على ابن عاشور في إنشاء التفسير والتأليف في غيره من فنون المعرفة الإسلامية نوعٌ من الهيام بفكرة المقاصد لا يخطئه الناظر في كتبه ومقالاته، بما في ذلك

([1]) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 170.

([2]) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 169.

([3]) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 168.

([4]) ابن عاشور: المرجع نفسه، ص 170.

ما يتعلق باللغة والأدب. ولعله يجوز لنا القولُ إن فكرة المقاصد تمثل ما يمكن عدُّه منظوراً كلِّياً وجَّه مجملَ إنتاجه العلمي وعمله الفكري "[1].

إلا أنَّ هناك فرقاً في تناول ابن عاشور للمقاصد بين كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية، وكتاب أصول النظام الاجتماعي، وبين كتبه الأخرى: التحرير والتنوير، والنظر الفسيح، وكشف المغطى.

فالأول: يتميز بقيامه على التعريف بالجوانب النظرية التأصيلية لقضايا علم المقاصد[2]. فكانت تلك النظرية محاولة علمية في بيان توجيه المقاصد الشرعية لطرق تفقّه المجتهدين عامة ولطرقهم في الاستنباط خاصة، إنها تمثل نموذجاً ممتازاً في بناء فكر مقاصدي يعمل على تأصيل منهجية التفقّه الشرعي.

والثاني: تناول فيه الجانب التكميلي للمقاصد بما فتحه من آفاق للتنظير الاجتماعي بمعناه الواسع، من حيث هو سعي للتشريع والتخطيط للمستقبل انطلاقاً من استيعاب معطيات الحاضر وتحليلها وتمحيص عناصرها وفق بصائر الوحي، وتوجيهها طبقاً لقيمه وأحكامه، وتوخياً لتحقيق مقاصده وفق أولويات مترتبة متكاملة لا تناسخ فيها ولا تعارض[3].

بينما ينهج في مصنفاته الأخرى منهج التطبيق لتلك النظريات، والتوسع في التمثيل لها[4] ونظراً لانحصار مجال هذا البحث في تفسيره التحرير والتنوير، ووجود دراسات عدة عن الفكر المقاصدي عند ابن عاشور، حيث تناول إسماعيل الحسني أطروحة ابن عاشور في المقاصد من حيث المفاهيم التي قام عليها بناء نظرية المقاصد عنده، ومن حيث تعريف المقاصد نفسها وترتيب أنواعها ودرجاتها، ومن حيث صلة ذلك كله بنصوص الشريعة في كيفية انبثاق المقاصد منها وانبنائها عليها، أو مسالك الكشف عنها وطرق تحديدها[5]، كذلك ما قام به الدكتور محمد الطاهر الميساوي في مقدمة تحقيقه لكتاب مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور من تنبيه على بعض

([1]) محمد الطاهر الميساوي **مقدمات تفسير التحرير والتنوير** لابن عاشور (تحقيق وتعليق محمد الميساوي، كوالالمبور، ماليزيا، دار التجديد، ط1 2006م) ص15.

([2]) انظر ابن الخوجة: **محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ج 2، ص 201، 202.

([3]) انظر الميساوي: **محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل** (دراسة صدَّر بها تحقيقه لكتاب ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية** (عمان: الأردن، دار الفجر ودار النفائس، ط1 1999) مرجع سابق، ص101.

([4]) انظر ابن الخوجة: **محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ج 2، ص 201، 202.

([5]) انظر الحسني: **نظرية المقاصد عند الإمام ابن محمد الطاهر ابن عاشور**، مرجع سابق، وبالتحديد البابين الثاني والثالث.

المسائل وعرض ومناقشة لبعض الإشكالات التي أثارها ابن عاشور في بحث المقاصد، ووقوفه عند بعض المفاهيم التأسيسية في النظر المقاصدي عند ابن عاشور ومحاولة ربطها بإشكالية التأصيل الإسلامي للدراسات الاجتماعية[1]، وأيضاً ما في الدراسة القيمة التي قام بها ابن الخوجة عن ابن عاشور في كتابه (محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة) وبالتحديد في الجزء الثاني بين علمي أصول الفقه والمقاصد التي جعلها بمثابة المقدمة لكتاب (مقاصد الشريعة الإسلامية) الذي قام بتحقيقه، حيث تناول منهجية ابن عاشور في كتاب المقاصد، فبين أسس النظر في المقاصد والأحكام، ومنهجه في تقريراته وفي تناوله لبعض متممات الخطاب، منهياً عمله هذا بإيراد قائمة من القواعد والمقاصد التي استخرجها من كتاب المقاصد[2].

نظراً لذلك كله سوف أقتصر في هذا البحث على ما نظّره، وأصّله ابن عاشور في المقاصد من خلال تفسيره وبالتحديد مقدماته العشر مع الاستعانة بمؤلفاته الأخرى لتوضيح بعض القضايا والمسائل.

- التأسيس والتنظير للمقاصد من خلال مقدماته العشر:

إنّ اهتمام ابن عاشور بقضايا التفسير وتشوفه إلى التجديد فيه، وتقديم رؤية إصلاحية لمواكبة التطور ومجاوبة متطلباته والتصدي لتحدياته، وذلك بما يملكه من عدة معرفية؛ أدّى به إلى محاولة تحقيق القول في مقدمات تفسيره، وبنوع من الحسم في عدد من القضايا والإشكاليات التي لم تزل منذ نشأة علم التفسير مثار جدل وخلاف بين العلماء، وتدور تلك القضايا والإشكاليات حول ثلاثة محاور أساسية:

الأول: مفهوم التفسير ومنهجه ومداده، والثاني: الأدوات والوسائل والمواد التي تتطلبها العملية التفسيرية، والثالث: الغايات والأغراض التي يسعى المفسر لتحقيقها. والناظر في مقدماته العشر يدرك ويلاحظ فيها حضور الفكر المقاصدي بوصفه موضوعًا محوريًّا في فكر ابن عاشور، ومحاولة توظيف هذا الفكر في فهم آيات القرآن واستجلاء معانيه، ليسري في ثنايا تفسيره، ويبرز فيه بشكل تطبيقي عملي .

كما لا يخفى لدارس هذه المقدمات محاولة ابن عاشور فيها تحديد رؤيته لعلم الأصول وتأسيس رؤية مقاصدية فيها لاستنباط الأحكام الفقهية الفرعية؛ إذ تبدو هذه المقدمات كما لو أنها

([1]) انظر الميساوي: مرجع سابق، من: ص64، إلى: ص 101.

([2]) انظر ابن الخوجة: مرجع سابق، أغلب أبواب وفصول الجزء الثاني.

نوع من المشاكلة لمقدمات الشاطبي الاثنتي عشرة في الموافقات، وليس غريباً بعد ذلك أن يعتمد ابن عاشور التحليل المقاصدي في تفسير القرآن.

فقد أفرد ابن عاشور المقدمة الرابعة (فيما يحق أن يكون غرض المفسر) وهي مقدمة بالغة الأهمية للحديث عن أمرين هما بمثابة الأساس لصحة التفسير وصلاحه: الأول: بيان ما ينبغي أن تكون غاية المفسر من التفسير، والثاني: معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها.

فهو يرى أنه بمعرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها تستبين لنا غاية المفسرين من التفسير على اختلاف طرائقهم، فيظهر لنا عند مطالعتها مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي إليها المفسِّرُ فنزن بذلك مقدار ما أوفى به من المقصد ومقدار ما تجاوزه[1].

يتبين لنا من عبارة ابن عاشور هذه أن عمل المفسر وفهمه إنما يجب أن يدور مع المقصد القرآني، ومع كل ما يمكن أن يسهم في إيضاحه وجلاءه. فيكون هو القطب في حركة المفسر بمختلف نواحيها ومستوياتها.

فابن عاشور يبدأ حديثه عن المقاصد – في هذه المقدمة – بقضية مهمة هي أن القرآن أنزله الله تعالى لقصد صلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراده لهم ليصل إلى محورين أساسيين هما صلب الموضوع الذي يسعى لتأصيله هنا، فحدد في الأول المقصد الأعلى من القرآن، وفي الثاني المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لبيانها.

– المقصد الأعلى من القرآن الكريم:

يرى ابن عاشور أنّ المقصد الأعلى من القرآن الكريم، هو: " صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية "[2]، وهذا يحيلنا إلى المقصد الذي ذكره ابن عاشور في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية) حيث اصطلح على تسميته بالمقصد العام من التشريع، فقال: "المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان ويشمل صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح مابين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"[3].

([1]) انظر محمد الطاهر ابن عاشور: **التحرير والتنوير** (تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984) ج1، ص 38.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ص 38.

([3]) ابن عاشور: **مقاصد الشرعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (كوالالمبور: ماليزيا، دار الفجر، عمان، الأردن، دار النفائس،ط1، 1999) ص 200.

الصلاح الفردي: ويعتمد على تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح العقل بالاعتقاد لأنه مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة بالعبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر[1].

ويلحق بهذين القسمين إيجاد الوازع النفساني لحراسة الصلاح المبثوث منها، فيمنعها عن الانحراف عما اكتسبه من الصلاح حتى يصير تخلقها بذلك دائماً وشبيها بالاختياري[2].

الصلاح الجماعي:لم يقتصر ابن عاشور على صلاح العقيدة والعمل (العبادة)، بل أراد منه صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية، فالصلاح الاجتماعي عنده يحصل بأمرين اثنين الصلاح الفردي، وصلاح ما عبر عنه بعلم المعاملات أو السياسة المدنية ف" الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك، وهو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية. وهذا علم المعاملات، ويعبر عنه الحكماء بالسياسة المدنية "[3]، وهي ما فيه صلاح عموم الأمة أو الجمهور، ولا التفات منه إلى أحوال الأفراد إلا من حيث أنهم أجزاء من مجموع الأمة، وهذا هو معظم ما جاء فيه التشريع القرآني، ومنه معظم فروض الكفايات، كطلب العلم الديني والجهاد وطلب العلم الذي يكون سبباً في حصول قوة الأمة، فانتظام أمر الأمة وجلبُ الصالح إليها، ودفعُ الضرِّ والفساد عنها أهم مقصد للشريعة من التشريع[4]، وهذا ما جعله ينبه إلى غفلة الفقهاء عن اعتبار بعض أنواع الرخص أو المشاق الاجتماعية التي قد تعتري مجموع الأمة، فتجعله بحاجة إلى الرخصة، ففرضوها ومثلوها في خصوص أحوال الأفراد، فقال: "غير أني رأيت الفقهاء لا يمثلون إلا بالرخصة العارضة للأفراد في أحوال الاضطرار. ونحن إذا تأملنا الرخصة فوجدناها ترجع إلى عروض المشقة والضرورة، صح لنا أن ننظر إلى عموم الضرورة وخصوصها. فقد وجدنا من الضرورات ضرورات عامةً مطردة كانت سبب تشريع عام في أنواع من التشريعات مستثناة من أصول كان شأنها المنع، مثل السَّلم والمغارسة والمساقاة فهذه مشروعة باطراد، وكان ما تشتمل عليه من الضرر وتوقع ضياع المال مقتضياً منْعَهَا لولا أنَّ حاجات الأمة داعيةٌ إليها، فدخلت في

([1]) انظر المرجع نفسه، ص201.

([2]) انظر ابن عاشور: **أصول النظام الاجتماعي** (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985) ص80، 81.

([3]) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج1، ص 38.

([4]) انظر ابن عاشور: **مقاصد الشرعة الإسلامية**، ص 280، 299، 300.

قسم الحاجي "[1]. وهو ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم: الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة الخاصة، وهي من القواعد المندرجة تحت قاعدة: المشقة تجلب التيسير[2].

الصلاح العمراني: وهو عنده أوسع من المقصدين السابقين، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات، والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي مصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع[3]، وعدَّ ابن عاشور التهاون فيه من أسباب تأخر العلوم عند المسلمين عموماً والفقه خصوصاً[4].

فهو يربط بين الصلاح الفردي وبين الصلاح الجماعي والعمراني، فالإنسان هو المستخلف في هذا العالم، وفي صلاحه صلاح العالم وأحواله. ولذلك عالج الإسلام صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاءُ نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله. فابتدأ الدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو إصلاح مبدإ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير الحق في أحوال هذا العالم، ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه لأن الباطن محرِّكُ الإنسان إلى الأعمال الصالحة، وبذلك ينصلح مابين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه[5].

أراد ابن عاشور من هذا المحور أن يؤصل للبعد الجماعي على مستوى الأمة، فجعله الأعلى والأولى بناء على استقراء موارد الشريعة الدالة على مقاصدها من التشريع بحيث يستطيع

([1]) انظر المرجع نفسه، ص 208.

([2]) وجاءت بلفظ: الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة، وبلفظ الحاجة العامة إذا وجدت أثبتت الحكم في حق من ليس له حاجة، **والمراد بالقاعدة:** أن الحاجة إذا عمت أكثر الناس فإنها تنزل منزلة الضرورة التي تكون لأحد الأفراد أو عمومهم في جواز الترخيص، وليس معناها أن الحاجة مطلقاً لأي شخص تنزل منزلة الضرورة، وتفترق الحاجة عن الضرورة بأنها مبنية على التوسع والتسهيل فيما يسع العبد تركه. انظر محمد صدقي البورنو، وأبو الحارث الغزي: **موسوعة القواعد الفقهية** (الرياض: السعودية، مكتبة التوبة، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، 2000) ج 3، ص 67، 86.

([3]) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج1، ص 38.

([4]) انظر ابن عاشور: **أليس الصبح بقريب**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ط 1، 2002) ص 212، 233، 234.

([5]) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ص 200، 202.

هذا الإنسان باتباع تعاليمه، والعمل وفق أحكامه وتشريعاته وتوجيهاته، وتمثل قيمه وإرشاداته أن يقيم مجتمعه على أرسخ أساس، ويشيد حضارته على أدوم قوام[1].

وهذا يظهر لنا مدى حرص ابن عاشور على إبراز التكامل بين أجزاء المقصد الأعلى من القرآن؛ ليكون في النهاية صلاحاً عمرانياً[2]، لا يمكن الوصول إليه دون الصلاح الفردي والجماعي، فتحقق الأدنى شرط لوجود الأعلى، وتعليل ذلك عند ابن عاشور: " أن المجتمع البشري أو الأمة عبارة عن مجموعة من الناس هي كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد، فلا جرم كان إصلاح المجتمع متوقفاً بادئ الأمر على إصلاح الأفراد، فإذا صلحت حصل من مجموعتها الصالحة مجتمع يسوده الصلاح، ثم هو محتاج إلى أسباب أخرى من الصلاح زائدة على أسباب صلاح الأفراد، وتلك هي أسباب صلاح نواحي الهيئة الاجتماعية في أحوال علاقات بعض أفرادها ببعض؛ لأن حالات التجمع تبعث عوارض جديدة لم تكن موجودة في أحوال انفراد الأفراد، وقد تطغى بقوتها الاجتماعية على ما تقف عليه الأفراد من الكمالات فتحجبها أو تزيلها بالمرة بحكم الاضطرار لمسايرة دواعي الأحوال الاجتماعية، فلم يكن بدٌ لشريعة الإصلاح من وضع قوانين زائدة على قوانين إصلاح الأفراد "[3]، فالصلاح العمراني مبني على الصلاح الفردي والجماعي.

وقد اهتدى ابن عاشور إلى هذا التنظير – مقصد الشريعة من الوصول إلى الإصلاح المطلوب ومدى استعداد الإنسان للكمال وسعيه إليه بالتدرج في مدارج تزكية النفس – من خلال تتبعه لمراحل تطور التشريع الإسلامي من ابتداء البعثة إلى ما بعد الهجرة، حيث اهتمت المرحلة الأولى بمكة بالإصلاح الفردي، بينما اهتمت المرحلة الثانية بالمدينة بالإصلاح الاجتماعي، التي

([1]) انظر الميساوي: مقاصد الشرعة الإسلامية، ص 53.

([2]) ينطلق ابن عاشور في التنظير للمقصد العام من نظرة كونية عالمية تعدُّ أوسع نظراً وأفقاً فهي لا تقتصر على حفظ نظام الأمة، بل تتعدَّاه إلى حفظ نظام العالم وضبط تصرّف الناس فيه على وجه يعصم من التفاسد والتهالك، كما نرى اليوم في الانحباس الحراري ودمار البيئة، وخطر الأسلحة النووية والبيولوجية التي يعم ضررها العالم ولا يقتصر على وطن دون آخر، ولا على أمة دون أخرى فإن مصائر أمة واحدة لا تقرره أوضاعها الداخلية فحسب، وإنما يتقرّر جزء من مصيرها خارجها من أحداث العالم ومجرياته وقواه الدولية، ولذلك نشأت هيئة الأمم المتحدة وغيرها، ونرى اليوم العولمة، وما تحدثه من الحدّ من السلطات الوطنية وفتح الأبواب للأسواق العالمية والشركات الكبرى والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وما إلى ذلك، فحفظ نظام العالم واستدامة صلاحه فيما يرى يتوقف على صلاح الإنسان في عقله وعمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه.

([3]) ابن عاشور: : أصول النظام الاجتماعي، ص 42، 43.

تكونت فيها جماعة كاملة الأهبة لما يناط بعهدتها من الإصلاح، فكان الإسلام يومئذٍ حقيقاً بأنْ يسرع في إصلاحه الاجتماعي وتأسيس قواعده وإشادة صروحه[1].

- المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لبيانها.

تمثل المقاصد الأصلية في تصور ابن عاشور الأهداف الأساسية للعملية التفسيرية، والتي يجب على المفسر إدراكها واستحضارها أثناء عملية التفسير حتى لا يصل به الأمر إلى الهدم بدل البناء؛ لذلك انصب اهتمامه على بيان أغراض التفسير، والتي حددها في: بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه، **فالمقصد الأعلى أو العام** عند ابن عاشور هو: الهدف الكلي الذي دلَّ عليه استقراء الأهداف الكلية للموضوعات القرآنية المتمثلة بالمقاصد الأصلية، فهو يرى أنَّ مما أورث التفسير تأخراً وفوَّت على المسلمين إدراك جوانب مهمة من هداية القرآن في هذا الشأن الضعف في علوم عدَّها المفسرون " بعيدةً عن القرآن، وهي ضرورية لمعرفة عظمته العمرانية، مثل التاريخ وفلسفة العمران والديانة والسياسة"[2].

لذلك يرى ابن عاشور أنه لابد من استحضار مقاصد القرآن الأصلية *التي أوجزها حسب استقرائه في ثمانية مقاصد[3] هي:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح. وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك.

الثاني: تهذيب الأخلاق، وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة.

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، ولقد جمع القرآن جميعَ الأحكام جمعاً كليّاً في الغالب، وجزئياً في المهم.

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، والتحذير من مساويهم.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علمُ الشرائع وعلم الأخبار، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة العقول، وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين، وفي دعوته إلى النظر.

([1]) انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ص 202.

([2]) انظر ابن عاشور: **أليس الصبح بقريب**، ص 221.

([3]) انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج1، ص 40، 41.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهو باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ؛ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزةً بلفظه ومتحدّى لأجله بمعناه.

وبالنظر في هذه المقاصد الثمانية يتضح لنا اعتماد ابن عاشور في تصنيفه لها على الموضوعات التي جاء بها القرآن الكريم أصالة وبداية، مع ملاحظة التداخل بين أهداف هذه الموضوعات، وكأنه يسعى إلى تحديد الأهداف الكلية التي جاءت بها هذه الموضوعات[1].

فقد بدأ بالمقصد الأهم **إصلاح الاعتقاد** وتعليم العقد الصحيح، وهو أول ما عالجه القرآن. الذي يعدّ أعظم سبب لإصلاح الخلق، وهو مقصد آيات العقيدة في القرآن رغم تعدد مجالاتها وطرق عرضها، فهي تشمل الكون والإنسان، وقد أهمل ابن عاشور تصنيف هذه الموضوعات ضمن هذه المقاصد؛ نظراً لأنها تصب في هذا المقصد، وأنّ جوهر هذه المقاصد هو الإنسان الذي توجه الخطاب إليه، كما أنّ هذا المقصد أحياناً يتداخل مع مقصد القصص القرآني عندما يكون من مقاصد القصة القرآنية إصلاح الاعتقاد رغم عدم انحصار مقاصد القصص في هذا المقصد وهذا التداخل يسري على بقية المقاصد الأصلية[2].

فقد اعتمد ابن عاشور في تصنيفه للمقاصد الأصلية على الموضوعات التي جاء بها القرآن الكريم – التي تعكس التكامل فيما بينها – ابتداءً وأصالةً خاصة إذا لاحظنا التداخل بين أهداف تلك الموضوعات، فعند بيانه للمقصد الكلي لموضوع العقيدة في القرآن الذي بدأه بإصلاح الاعتقاد، وتعليم العقد الصحيح الذي تناوله عن طريق مجالات متعددة تشمل الكون والإنسان مع تداخلها مع المقاصد الأخرى، فنجد مقصد القصص القرآني رغم عدم انحصاره في المقصد الأول إصلاح الاعتقاد، يتداخل هو ومقصد الترغيب والترهيب – الذي مضمونه آيات الوعد والوعيد والمحاجة والمجادلة للمعاندين – مع مقصد إصلاح الاعتقاد ومقصد التشريع المتعلق بالأحكام الخاصة والعامة التي جمعها القرآن جمعاً كلياً في الغالب وجزئياً في المهم[3]، فهو مقصد شامل وعام لموضوعات القرآن الكريم.

([1]) انظر على أسعد: **التوجه المقاصدي عند المفسرين ابن عاشور ودروزة** (رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، نوقشت في جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، مرقونة، المكتبة المركزية بجامعة الزيتونة، 2004) ص 51، 52.

(2) انظر المرجع نفسه، ص53.

([3]) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج 1، ص40.

كما نجد تداخلاً بين مقصد تهذيب الأخلاق – الذي يشمل موضوعات متعددة في القرآن، منها ارتكازه على آيات العبادات ؛ بما لها من خصوصية تزكية النفس، ومراقبة الخالق، إلى جانب الآيات الداعية إلى مكارم الأخلاق – ومقصد سياسة الأمة – الذي يشمل صلاح الأمة وحفظ نظامها المؤلف لمحور أساسي من محاور المقصد الأعلى، وهو الصلاح الجماعي – وكذلك انضوائهما معاً تحت مقصد التشريع باعتباره شاملاً للأفراد والجماعات إذ لا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون الأمة[1] .

ونجد المقصد الرابع سياسة الأمة والذي عدّه ابن عاشور باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها قد صنفه باعتبار الموضوعات القرآنية فقال: " سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا }[سورة آل عمران: 103]، وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}[سورة الأنعام: 159]، وقوله: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ }[سورة الأنفال: 46]، وقوله {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[سورة الشورى: 38]"[2].

وهو مقصد يندرج تحت مقاصدي تهذيب الأخلاق والتشريع؛ وذلك لامتزاج الشريعة بالسلطة في الإسلام؛ لأن من أصول نظام سياسة الأمة ما هو موكول تدبيره وتيسيره على ولاة الأمور لصالح الجمهور، وهذا عائد إلى التشريع، ومن أصول ذلك النظام ما هو موكول إلى الوازع الديني الذي عماده مكارم الأخلاق، وهذا عائد إلى مقصد تهذيب الأخلاق، فهو مقصد يشمل صلاح الأمة وحفظ نظامها المؤلف لمحور أساسي من محاور المقصد الأعلى، وهو الصلاح الجماعي.

يلاحظ المتتبع للمقاصد التي ذكرها ابن عاشور عند تفسيره للآيات القرآنية ذات الصلة بالمقاصد الأصلية التي عرض لها في مقدمته أنها في الغالب مقيدة بما جاء القرآن الكريم لتبيانه في الآيات دون إبراز مقاصدها التي يجمعها موضوع مشترك، يلاحظ أنّه لم يصنفها تصنيفاً يتدرج من الأدنى إلى الأعلى، أومن الجزئي إلى الكلي كما فعل في كتابيه مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي، وإنما اكتفى في تفسيره ببيان مقصد الآية دون الالتفات إلى المحور الذي ينضوي إليه إلا نادراً، فلم يفرد للمقاصد الجزئية قسماً كما فعل في المقاصد العامة والخاصة: رغم إلحاحه على أهمية استقراء الجزئيات للوصول إلى الكلي، ورغم إلحاحه على أهمية المقام في

([1]) انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ص 124، 129، 130.

([2]) المرجع نفسه، ج 1، ص41.

ضبط مقصود الشارع، وهو منحى أغلب ما تنتجه مقاصد جزئية، وكذلك تقريره أن من طرق إثبات المقاصد استقراء علل الأحكام، وعلى هذا يُعدُّ إهماله للمقاصد الجزئية مأخذاً عليه، ذلك لما لها من الأهمية من حيث ضبط العديد من الأحكام الجزئية وتقليل الخلاف حولها تمهيداً لاستخلاص العلل، ومن ثم استخلاص المقاصد الخاصة أو العامة.

ولتوضيح العلاقة بين هذا العرض المقاصدي، وبين تحديد غرض المفسر من التفسير يقول ابن عاشور: " فغرض المفسر بيان ما يصل إليه، أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتمِّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً كما أشرنا إليه في المقدمة الأولى، مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ، وللتنزيل اصطلاح وعادات.. "[1].

يتبين لنا من عبارة ابن عاشور هذه أن عمل المفسر وفهمه إنما يجب أن يدورا مع المقصد، ومع كل ما يمكن أن يسهم في إيضاحه وجلائه. فهو المعيار الذي يحكّم عند مطالعة التفاسير لمعرفة مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمى إليها المفسر، فتُزن بذلك مقدار ما أَوْفَى به من المقصد ومقدار ما تجاوزه[2].

وانطلاقاً من هذه الرؤية المقاصدية يحدد ابن عاشور موقفه ورأيه في كثير من المسائل والقضايا التي تعد من أصول التفسير ومباديه، فتكون بمثابة الضابط الذي يحدد له الاختيار الصحيح والوجهة الحقة[3].

فابتداء باستشكاله اعتبار التفسير علماً عند تعريفه للتفسير في المقدمة الأولى، وعدّه ذلك تسامحاً لا يقرُّ به محاولاً أن يُخرِّج القول بكون التفسير علماً على ستة أوجه، حيث ذكر من بينها وجهاً عقلياً منهجياً هو: " أن حق التفسير أن يشتمل على بيان أصول التشريع وكلياته، فكان بذلك

([1]) المرجع نفسه، ج 1، ص 41، 42.

([2]) المرجع نفسه، ج 1، ص 38.

([3]) سامر عبد الرحمن رشواني: مجلة إسلامية المعرفة (هيرندن، فيرجينيا: الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة السادسة: العدد الثالث والعشرون، 2000) ص 90.

حقيق بأن يسمى علماً، ولكن المفسرين ابتدأوا بتقصي معاني القرآن فطفحت عليهم وحسرت دون كثرتها قواهم، فانصرفوا عن الاشتغال بانتزاع كليات التشريع إلا في مواضع قليلة"[1].

- خدمة المقاصد القرآنية هو المعيار المحكم في علوم التفسير.

ذكر ابن عاشور عند حديثه عن طرائق المفسرين في التفسير وبالتحديد في الطريقة الثانية والثالثة بيّن أنّ جلب المسائل، وتفاريع العلوم، وبسطها جائز إذا كان لقصد المناسبة بينها وبين المعنى، أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها، أو للتوفيق بين المعنى القرآني وبعض العلوم ممَّا له تعلقٌ بمقصد من مقاصد الشريعة لزيادة تنبيه إليها، أو لردّ مطاعن مَنْ يزعم أنه ينافيه، لا على أنها مما هو مراد الله من تلك الآية، بل لقصد الوسع، فلا يلام المفسِّر إذا أتى بشيء من تفاريع العلوم ممَّا له خدمة للمقاصد القرآنية[2].

فالمعيار المحكّم لديه فيما يصح الاستعانة به من العلوم في التفسير هو "خدمة المقاصد القرآنية" فهو يرى أنّ الطريقة الثالثة من طرائق المفسرين تقوم على جلب " مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية: إما على أن بعضها يومئ إليه معنى الآية، ولو بتلويح ما، كما يفسر أحد قوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا }[سورة البقرة (2) 269] فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها.. وكذلك أن نأخذ من قوله تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ } [سورة الحشر (59): 7] تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة ونعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على أنَّ ذلك تومئُ إليه الآية إيماءً... وشرط كون ذلك مقبولاً أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالفرض المقصود له "[3].

وبعد ذكره لآراء العلماء في سلوك هذه الطريقة، عقّب عليهم بأنّ معاني القرآن ينبغي ألا تبنى على فهم طائفة واحدة، لأنها معان تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك، فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه. وذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر الفهم، وشرطه أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ العربي، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا

([1]) انظر محمد الطاهر الميساوي: **محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل**، دراسة صدَّر بها تحقيقه لكتاب ابن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص 33.

([2]) انظر ابن عاشور: **مقاصد الشرعة الإسلامية**، ج1، ص 94، 95.

([3]) انظر الميساوي: **محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل**، ص 69.

عن المعنى الأصلي، وأما ما قرره الشاطبي من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب، ولا يصح في مسلك الفهم والإفهام إلا ما يكون عاما لجميع العرب بناء على ما أسسه من كون القرآن لما كان خطاباً لأميين – هم العرب – فإنما يعتمد في مسلك فهمه وإفهامه على مقدرتهم وطاقتهم، وأن الشريعة أمية، فقد بيّن ابن عاشور أنّه أساسٌ واهٍ لوجوهٍ ستة[1]، كان من بينها ما يرجع إلى مقاصد القرآن، فقال في الوجه الثاني لنقد ما أسسه الشاطبي: " أنّ مقاصد القرآن راجعةٌ إلى عموم الدعوة، وهو معجزة باقية، فلابدَّ أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام مَنْ يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة"[2]، وقال في الوجه السادس من ردوده على الشاطبي أن السلف: " قد بيَّنُوا وفصَّلوا وفرَّعوا في علوم عُنُوا بها، ولا يمنعنا ذلك أنْ نقتفيَ آثارَهم في علوم أخرى راجعةٍ لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية"[3].

فابن عاشور يرى بعدم جواز حمل القرآن على خصوصيات جزئية، أو تعميم ما قصد منه التقييد، حتى لا يؤدي إلى إبطال مراد الله أو التخليط في فهمه؛ مما أدى به إلى إعادة النظر في بعض القضايا والموضوعات التي تخدم المقاصد، ومحاولة ربطها بالمقاصد القرآنية، ومن أهمها: **موضوع أسباب النزول:** حيث انتقد ابن عاشور في المقدمة الخامسة ولع المفسرين " بتطَلُّبِ أسباب نزول آي القرآن " مبيناً أنهم استكثروا منها، وأساءوا بتلقفهم روايات ضعيفة أثبتوها في كتبهم وتوسعوا فيها توسعاً ضيق معاني القرآن العليا.. وأنَّ " القرآن جاء هادياً إلى ما به صلاحُ الأمة في أصناف الصلاح، فلا يتوقفُ نزولُه على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام "[4].

([1]) والأوجه هي: الأول: أن ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال. الثاني: أن مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة.

الثالث: أن السلف قالوا: إن القرآن لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه. الرابع: أن من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تف به الأسفار المتكاثرة. الخامس: أن مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهوما لديهم فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. السادس: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه.. انظر ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج1، ص 44، 45.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ص 44، 45.

([3]) المرجع نفسه، ج1، ص 45.

([4])المرجع نفسه، ج1، ص 46.

وخلص من دراسته لأسباب النزول التي صحت أسانيدها إلى أنها خمسة أقسام فصل فيها القول مقرراً أنّ القرآن جاء لهداية الأمة والتشريع لها في جميع أحوالها فهو في جميع ذلك قد "جاء بكليات تشريعية وتهذيبية. والحكمة في ذلك أن يكون وعي الأمة لدينها سهلاً عليها، وليمكن تواتر الدِّين، وليكون لعلماء الأمة مزيةُ الاستنباط... فكما لا يجوز حملُ كلماته على خصوصيات جزئية لأن ذلك يبطل مراد الله، كذلك لا يجوز تعميمُ ما قُصد منه التقييد؛ لأن ذلك يفضي إلى التخليط في المراد أو إلى إبطاله من أصله "[1].

وبهذا يتضح لنا مدى اهتمام ابن عاشور بتمحيص أسباب النزول، وربطها بالمقاصد القرآنية، فلا يختار منها إلا ما توقف على فهم المقصود من الآية، مقرراً بناء على ذلك قاعدة كلية تكون لها الحكومة على كل نقاش في الموضوع ألا وهي (أنَّ القرآن جاء لهداية الأمة والتشريع لها في جميع أحوالها وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهذيبية)[2].

وهذا ما حاول أنْ يقرره أيضاً عند تناوله للقصص القرآني في المقدمة السابعة، فقد عدّ ابن عاشور سرد القرآن للقصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، والتحذير من مساوئهم من المقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم، فإذا كان المقصد الأسمى والأعلى من نزول القرآن هو هداية الخلق وإصلاح البشرية وعمارة الأرض، فإنَّ معرفة قصص الأنبياء وأخبارهم مع أممهم، يعدُّ إلى جانب العبرة والعظة من وسائل الهداية والإرشاد للأمة، وتعريفها بتاريخ المشرعين من الأنبياء تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي؛ ولذلك فوائد في تاريخ التشريع والحضارة، كما أنه يفتق أذهان المسلمين بفوائد المدنية، فيعرفوا سعة العلم وعظمة الأمم، والاعتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم وصمة الغرور، وتعرف جوامع الخيرات وملائمات حياة الناس، فتسعى إلى طلب كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها، وبذلك تنشئ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم[3].

وقد وظَّف ابن عاشور مفهوم " المقاصد " أيضاً في تحليله للنظم القرآني وخصائصه، فكان له في ذلك نظرات حاذقة مبتكرة كقوله مثلاً: " نرى من أعظم الأساليب التي خالفَ بها القرآنُ أساليبَ العرب أنه جاء في نَظْمه بأسلوب جامع بين مقصديه وهما: مقصد الموعظة ومقصد

([1]) المرجع نفسه، ج1، ص 50.

([2]) المرجع نفسه، ج1، ص 50.

– وانظر الميساوي، **محمد الطاهر ابن عاشور والمشروع الذي لم يكتمل**، ص 52.

([3]) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج1، ص 64، وما بعدها.

التشريع. فكان نظمُه يمنح بظاهره السامعين ما يحتاجون أن يعلموه وهو في هذا النوع يشبه خُطَبَهم، وكان في مطاوي معانيه ما يستخرج منه العالِمُ الخبير أحكاماً كثيرة في التشريع والآداب، وقد قال في الكلام على بعضه {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }[سورة آل عمران: 7] هذا من حيث ما لمعانيه من العموم والإيماء إلى العلل والمقاصد وغيرها"[1].

ومن خلال ما سبق يتبين أنَّ بُعْدَ الأمة معيارٌ معتمدٌ عند ابن عاشور كلما تحدث عن المقاصد، ومما لاشك فيه أن التركيز على مقاصد الشريعة على مستوى الأمة هو الأعلى والأولى، وهو الذي يحتاج أن يأخذ مكانته اللائقة المستحقة [2].

فابن عاشور يريد أن يصحح ويوازن ويعدل الكفة؛ لأن مصالح الأفراد أخذت كامل العناية والرعاية من الفقهاء الأصوليين والمقاصديين، بخلاف الأمة ومصالحها ومقاصدها، فهي ضامرة عند عامة المتقدمين منهم [3] على حد تعبير الريسوني[4].

([1]) المرجع نفسه، ج1، ص 115، 116.

([2]) وذلك نظراً لأن الفرد عادة تشغله مصالحه التي يفنى فيها كل عمره دون أن يشعر أنّه اقترب من تحقيقها، ونادراً من يشذ عن هذا السلوك. كما أن إنجاز الأغلبية المطلقة من المصالح العامة يتجاوز الإمكانيات العرفية والمادية للفرد. وأنّ تحقيق ما يحتاجه المجتمع من مرافق يتطلب الاستمرارية والتخطيط، وهو ما يتعذر على العمل الفردي، كما أنّ من المصالح ما يتعارض طبيعته مع إسناد التقرير فيها إلى الفرد مثل القواعد المنظمة للمجتمع. انظر أحمد الخمليشي: **جمود الفقه الإسلامي أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج**، سلسلة: وجهة نظر، ج 6، ص 73، **موقع الدكتور أحمد الخمليشي** (www.ahmed-elkhamlichi.org) 2008.

([3]) حصر الأصوليون المخاطب بأحكام الشريعة في الفرد وحده وذلك عندما عرفوا الحكم بأنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلف، وسايرهم الفقهاء فاعتبروا جميع الواجبات موجهة إلى الفرد بوصفه المطلوب شخصياً بالتنفيذ بمعزل واستقلال عن الأفراد الآخرين، جزء منها واجبة على كل فرد بصفة عينية، والجزء الآخر واجب على مجموع الأفراد لكن إذا قام به البعض سقط الوجوب عن الآخرين، وهو ما أطلقوا عليه بفروض الكفاية، وكذلك الأمر بالنسبة لخطاب الوضع فكل ما يميزه عن خطاب التكليف هو كون الفرد المخاطب به قد يكون غير متوفر على بعض شروط المكلف.

– انظر أبو حامد الغزالي: **المستصفى**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي (بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ) ج 1، ص 45.

– وانظر حسن الترابي: **قضايا التجديد نحو منهج أصولي** (الخرطوم: السودان، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، 1990) ص196، 200.

– وانظر أحمد الخمليشي: **جمود الفقه الإسلامي أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج**، ج 6، ص73.

([4]) انظر أحمد الريسوني: **المقاصد في العصر الحديث** (7) موقع أحمد الريسوني 2009/5/5.

المصادر والمراجع:

- أبو حامد الغزالي: **المستصفى**، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت: لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة، ط 1، 2002م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **أصول النظام الاجتماعي**، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **مقاصد الشرعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، كوالالمبور: ماليزيا، دار الفجر، عمان، الأردن، دار النفائس،ط1، 1999م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، تونس: الجمهورية التونسية، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، **مقدمات تفسير التحرير والتنوير**، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي،كوالالمبور: ماليزيا، دار التجديد، ط1، 2006م.
- أحمد الخمليشي: **جمود الفقه الإسلامي أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج**، سلسلة: وجهة نظر، ج 6، ص 73، **موقع الدكتور أحمد الخمليشي** (www.ahmed-elkhamlichi.org) 2008.
- أحمد الريسوني: **المقاصد في العصر الحديث** (7) موقع أحمد الريسوني 2009/5/5.
- جمال الدين دراويل: **مسألة الحرية في مدونة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور**، بغداد: العراق، مركز دراسات فلسفة الدِّين، وبيروت: لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
- حسن الترابي: **قضايا التجديد نحو منهج أصولي**، الخرطوم: السودان، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، 1990م.
- الحسني: **نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور**، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1995م.
- على أسعد: **التوجه المقاصدي عند المفسرين ابن عاشور ودروزة**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، نوقشت في جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، مرقونة، المكتبة المركزية بجامعة الزيتونة، 2004م.

- محمد الحبيب ابن الخوجة: **محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية**، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الدنية، ط 1، 2004م.
- محمد صدقي البورنو، وأبو الحارث الغزي: **موسوعة القواعد الفقهية**، الرياض: السعودية، مكتبة التوبة، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، 2000م.
- محمد الطاهر الميساوي: **مقدمات تفسير التحرير والتنوير** لابن عاشور (تحقيق وتعليق محمد الميساوي)، كوالالمبور، ماليزيا، دار التجديد، ط1، 2006م.
- المنصف الشنوفي: **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**، العدد العاشر 1973، حوليات الجامعة التونسية.
- محمد صدقي البورنو، وأبو الحارث الغزي: **موسوعة القواعد الفقهية**، الرياض: السعودية، مكتبة التوبة، بيروت: لبنان، دار ابن حزم، ط1، 2000م.